

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس الاستاذ السيد رضا حسيني نسب في:

علم الرجال

الدرس الثالث

بيان الحاجة إلى علم الرجال

مسيب الحاجة إلى دراسة علم الرجال يبتني على أنّ مدار الاستنباط للأحكام الشرعية الفرعية هو السنة ، و السرّ في ذلك هو أنّ الكتاب العزيز غير متكفل ببيان كلّ الأحكام أو جلّها ، لأنّ آيات الأحكام لا تتجاوز الخمسائة آية على المشهور، و الحال أنّ الفروع الفقهية التي دوّنها صاحب "جواهر الكلام" لوحده تقارب ربع مليون مسألة شرعية، و ما من واقعة إلا و لله تعالى فيها حكم.

أما الإجماع الكاشف عن رأي المعصومين عليهم السلام فهو نادر جدًا كحجة مستقلة على الأحكام.

أما العقل فهو قاصر في إدراك مناطات الأحكام و ملاكاتها استقلالاً، و لا يكون حجة إلا في موارد محدودة ، كما إذا كانت هناك ملازمة بين حكمه و حكم الشرع ، كإدراك الملازمة بين وجوب المقدّمة و وجوب ذبيها ، و بين حرمة الشئ و فساده ، و بين وجوب الشئ و حرمة ضده.

فلا يبقى من الحجج الشرعية ما يفي باستنباط الأحكام الفرعية إلا السنة الشريفة ، و هي قول المعصومين عليهم السلام و فعلهم و تقريرهم.

و حيث أنّ مطلق الخبر ليس بحجة إلا بعد إحراز عدالة الراوي أو وثاقته و صدقه و ضبطه ، مع ما تعرّض للروايات من تدخّل الوضاعين و المدلسين و المكذبين ، و أنّ جبران ضعف السند بعمل المتقدمين من الأصحاب لا يكون واقياً بجميع الموارد ، فلا بدّ من الرجوع إلى علم الرجال المتكفل ببيان أحوال المحدثين ، لإحراز صغريات الاستدلال على حجية الأخبار ، و هي كون الرواة عدولاً أو ثقات.

و أما ما ذهب إليه الأخباريون من الالتزام بقطعية ما في الكتب الأربعة و أنّها مقطوعة الصدور عن المعصومين عليهم السلام، فليس له وجه وجيه.

و لو سلّمنا ذلك فلا بدّ حينئذٍ أيضا من الرجوع إلى علم الرجال عند تعارض الأخبار فيها.

أضف إلى ذلك أنّ الأحاديث التي تقع في طريق استنباط الأحكام الشرعية لا تنحصر بما في الكتب الأربعة ، و قد روى صاحب "وسائل الشيعة" في كتابه أحاديث كثيرة عن كتب يبلغ عددها سبعين كتابا غيرها. ثمّ وجد صاحب "مستدرک الوسائل" أيضا روايات اخرى تفيد المجتهد في الكشف عن الفروع الفقهية و هي لا توجد في الوسائل.

تاريخ علم الرجال

قد بيّنا أن أول من صنّف في علم الرجال هو عبيد الله ابن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و آله ، في القرن الأول الهجري. ثمّ يليه عبد الله ابن جبلة الكناني ، المتوفى سنة 219 بعد الهجرة.

و في القرن الثالث قام بعض آخر من العلماء بالتصنيف في هذا الفنّ ، كالحسن ابن محبوب السمرّاد ، المتوفى عام 224 و له كتاب "معرفة رواة الأخبار" و كتاب "المشيخة".

و يليه الفضل ابن شاذان من أصحاب الإمام الرضا و الإمام الجواد و الإمام الهادي عليهم السلام ، المتوفى عام 254 أو سنة 260 بعد الهجرة. و كذلك أحمد ابن علي العلوي العقيقي ، المتوفى عام 280 بعد الهجرة و كتابه هو "تاريخ الرجال". و من الكتب الرجالية المدوّنة في هذا القرن هو رجال ابراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي ، المتوفى عام 283 و كتاب الرجال للحافظ عبد الرحمن بن يوسف المروزي البغدادي ؛ و كتاب الرجال للبرقي.

و في القرن الرابع ، اهتمّ أحمد ابن محمد ابن سعيد المعروف بابن عقدة، المتوفى عام 333 بتأليف كتاب "الرجال" الذي جمع فيه أسماء المحدثين عن الإمام الصادق (ع) ، و كذلك أحمد ابن محمد القمي ، المتوفى سنة 350 و له كتاب "الطبقات".

و هكذا محمد ابن عمر ابن عبد العزيز المعروف بالكثني ، المتوفى في منتصف القرن الرابع الهجري ، و له كتاب "الرجال" ؛ و محمد بن عمر الجعاني البغدادي ، المتوفى عام 355 و له كتاب "الشيعة من اصحاب الحديث و طبقاتهم" ؛ و أبو غالب أحمد ابن محمد الرازي ، المتوفى عام 368 بعد الهجرة و له رسالة في نسب آل أعين.

و يليه أبو جعفر محمّد ابن علي ، المعروف بالشيخ الصدوق ، المتوفى عام 381 و له كتاب "المشيخة" و كتاب "المصاييح" و ذكر فيه أسماء المحدثين عن النبي (ص) و الأئمة المعصومين عليهم السلام.

و في القرن الخامس ، قام أحمد ابن محمد الجوهرى البغدادي ، المتوفى سنة 401 بتأليف كتابه "الاشتمال في معرفة الرجال". و هكذا الشيخ أحمد ابن عبد الواحد البزّاز ، المتوفى عام 423 الذي ألف كتاب "الفهرس". وهو من مشايخ النجاشي و الشيخ الطوسي.

و كذلك أحمد ابن علي ابن أحمد ابن العباس المعروف بالنجاشي، المتوفى سنة 450 بعد الهجرة ، و له كتاب معروف في علم الرجال. و الشيخ محمد ابن الحسن الطوسي ، المتوفى عام 460 ، الذي ألف كتبا قيّمة في هذا الفن ككتاب "الرجال" و كتاب "الفهرس".

و في القرن السادس الهجري ، ألف الشيخ الحافظ علي ابن عبيد الله ابن الحسن ابن الحسين ابن الحسن ، المعروف بمنتجب الدين ، المتوفى بعد عام 585 كتابه في علم الرجال باسم "الفهرس" ، و ذكر فيه المشايخ المعاصرين للشيخ الطوسي و المتأخرين عنه إلى زمانه.

و كذلك الحافظ محمد ابن علي ابن شهر آشوب المازندراني ، المتوفى سنة 588 ، و كتابه المعروف في هذا الفن هو "معالم العلماء".

و في القرن الثامن ، قام تقي الدين الحسن ابن علي ابن داود الحلّي ، المتوفى بعد عام 707 بتأليف كتابه في علم الرجال و هو المعروف برجال ابن داود.

و في هذا القرن ، ألف العلامة الحسن ابن يوسف ابن مطهر الحلّي ، المتوفى عام 726 كتابه المشهور في هذا الفن الشريف و هو "خلاصة الأقوال في علم الرجال".

هذا هو تقرير موجز عن تاريخ علم الرجال ، من القرن الأول بعد الهجرة النبويّة الشريفة إلى القرن الثامن. و قد توالى تأليف الكتب في هذا العلم بعد ذاك العصر أيضا إلى زماننا هذا ، كجامع الرواة للأردبيلي و مجمع الرجال لزكيّ الدين القهباني ، و منهج المقال للأسترآبادي ، و منتهى المقال في أحوال الرجال للحائري ، و تنقيح المقال للمامقاني ، و قاموس الرجال للشيخ محمد تقي التستري ، إلى غير ذلك من كتب الرجال و الفهارس. و سوف نتطرّق في الدروس القادمة إلى شرح الأهمّ منها ضمن فصول متوالية بالترتيب.

و لا يخفى على الباحث المتنبّع أن هناك كتبا رجالية اخرى ألفها العلماء المتقدّمون رحمهم الله ، و لكثرتها ضاعت و أحرقت طوال التاريخ ، أو لم تنتشر و لم تصل إلى أيدينا ، و لكنّ أسماءها و خصائصها مذكورة في كتب وضعت لهذا الغرض ، ككتاب "مصطفى المقال في مآلفي الرجال".